

# لوسي في بغداد

## قصة بقلم ليلى الوائلي

صوره اسرابا تكاد تنحشر في ذهنه مرة واحدة حتى لم يعد يميز ايا منها .

كان في مثل هذه الحالات يخلي ذهنه تماما . يجرف منه كل الافكار ويطحها جانبا ، ثم يتناولها جرعة جرعة ... لكن العاصفة انهكته هذه المرة .. وجد نفسه نهبا لفيض كاسح تفجر ، كالبركان ، في اعماقه . قيد ثقيل يجثم على صدره ويشد انفاسه .. لم يتذكر حتى ما قالته لوسي في التلفون . كان يشعر بان بقايا هذا الحدث كله صدى نغم غير محدد ، هو في الواقع ليس نغما بقدر ما هو صورة مغيبة ... وتذكر ايضا السادسة! تبدت له كضربة فرشاة حادة . كما يحدث في الحلم تماما .

ودب الحذر في اوصال حسام . وتشننج من جلدة رأسه حتى قدميه . كان جسده ينفصل عنه . وكان الدماء تتخثر في عروقه .. لقد سرح بعيدا . اجتاز البركة الزمنية التي يخوض فيها . راح يلاقي لوسي ويهمس في اذنها الصغيرة بالكلمات التي لم يقلها .. كم كانت تحب حديثه وتصفي اليه . كانت عينها الخضراوان تشعان فرحا اصيلا . قالت له مرة ، انه يمنحها السعادة الحقيقية التي حلمت بها طوال حياتها .. ولم ينس ذلك . « ولكن اية افكار تلهيني .. لوسي في بغداد ، وانا لا ادري كيف القاها ! » ومرة اخرى انفتح امامه عالم من البداية ! منذ ان التقيا في الجامعة ... يريد ان الحلم بكل ابعاده . الا ان يد الفراش هبطت عليه بالصحف ، فاستحضرتة بقسوة اربكته ... وسرعان ما احس بالارتياح ، فتلك الشريحة من حياته لم تعد حلما فحسب ، بل امتدت الى حاضره تجتاحه كدفقة عطر ... « ولكن ، سهام ! » واخنتق صدره بسحاب ثقيلة .. وتساءل ان كانت لوسي ستلتصق بمستقبله كذكرى فقط ! « وماذا اكثر .. » راحت عيناه تدبان على الصحف بحثا عن الجواب . « ربما جاءت مع بعثة خاصة .. ربما ، يعني .. سفرة سياحية .. قضاء عطلة ... » طالما حدثته عن حبها لبغداد ، عن حبها للشمس الدافئة والعالم الغريب الذي طالعتة في الكتب .. لا يمكن ان تأتي من اجله . هكذا فكر .. « طبعا . وكيف تخطر لي مثل هذه الفكرة . كلا . لا يمكن . » والا فقد يدفع حريته ثمنا لعملهما هذا . ليس حريته فقط ، وانما سهام . واخترم الالم قلبه . اوجرته عينا لوسي الربيعيتان ... تجلت صورتها اكثر . وتجمعت اوصال عالمه الخاص رغم ثقل السنين وامتدادها الشاسع . نظر الى ساعته . سيلقاها عند

جرس التلفون يصخب بالحاح وحسام منكب على المنضدة يوضع الارقام قبل ان يسفحها على سجل الموجودات الضخم .. نظرائه هادئة تشيع الكسل من حوله ، حتى يظن من يراه ، وهذا ما يردده الفراش « ابو عمار » ايضا ، انه مسهد ، بحاجة الى مزيد من النوم . بينما الحقيقة ، كما يفسرها بنفسه ، هي انه لم يكن منسجما مع عالم الارقام والمراجعات وكتابكم المرقم وما شابه .. كان ينظر الى هذا العالم من الخارج ولا يدري حتى كيف تقمط في كرسيه المسور هذا ! يقول ، انه وجد نفسه في قاع البئر قبل ان تتاح له فرصة الاختيار . ولم ير بدا من السير في الطريق التي انزلت قدمه عليها . لم يخطر له ان يفكر بما يجب ان يكون . كان فقط يتناول من حاضره افضل ما فيه . وهكذا تحددت معالم مستقبله ، بشكل يكاد يكون قهريا ، قد لا يرغبه او يحلم به . كان حسام يعيش كما يريد الاخرون ان يعيش ، لكن ذلك القالب الخانق لم يجفف عالمه الداخلي . فقد ظل الشوق يطحنه الى عالم البعثة .. الى التسكع بين عواصم اوربا ايام العطل .

وكان ابو عمار يود لو يخرس رنين التلفون الملحاح ، لكنه لم يجرا على الاقتراب منه .. ظل بعيدا ، تجتازه ، بين آن واخر ، نظرات حسام التائهة فلا يحس بوقوعها . ويفكر .. ان هذا الموظف الضجر لم يأخذ موضعه المناسب . وكان يعجب كيف يمكنه ان يرصف ارقامه بدقة بالغة ، كما يسمع عنه . لكن مثل هذه الافكار لا تلتصق برأسه .. خواطر فقط . على اية حال ، عليه ان يهيء القهوة ويحضر الصحف الصباحية ، فمراقبة الناس تورث الهم ..

وظل القلم في كف حسام يوالي ضرباته على الورق الصقيل . وجدائل الشمس نافورات ذهبية تندفق من فتحة الباب فتوحي بالدفع وتضفي على الغرفة وضوحا اكثر .. والتلفون الى جوار حسام ما زال يصخب بالحاح :  
- نعم .. ها .. أأ .. لوسي !؟ صحيح . لوسي .  
اين انت . في بغداد . مستحيل . حسنا . حسنا .  
اين اراك ..

اكتسى صوته بحة غريبة جافة ، وتعاطفت اصابعه المرتجفة مع الآلة السحرية تشدها بحرص شديد السي اذنه .. انه صوتها الماسي . لم يخطئه . لم تمتصه الاسلاك ... ولفته دوامة رهيبه عزلته عن اية فكرة واضحة . ضجت في رأسه كل اصداء الماضي . ومضت

حتى امتزجت بعالمه بحيث صار يحس طعم اناملها في كفه ، ويسمع حفيف ثوبها يحيط به . . . لم يحدث طوال اشهر الخطوبة ان ساء التفاهم بينهما ، وكأنهما اتفقا على ان يتفقا في كل شيء .

واحس حسام ان الجدران من حوله تكتسي القا ازهى . . . كانت انامل يده اليسرى تداعب الخاتم الذهبي في اصبعه الايمن ، حتى اكتست هذه المذاعة قوة العادة لديه . . .

وفي السادسة اطبقت كفه على اصابعها الصغيرة واحس كما في اللقاء الاول بمفعول السحر يدب في شرايينه ويذر الفرح في قلبه . . . وكم تلهف لاحتضانها . لكن عيون بغداد اليقظة ترصدته ، انفرست سفودا في جنبه . . . اكتفى بأن يقودها الى سيارته الصغيره . . . لم يحدثها بشيء . . . كانت انفاسه تلهث باللقاء . . . وافزعه ان يتمزق صوته . . . ان تتبعثر كلماته بين لهاته وحركات يديه . . . فالذي يضج في اعماقه شيء اخر . شيء مزروع تحت جاده ، ممتزج بدمائه . . . شيء كالكلمات التي لم تنحت بعد . . . لقد شده . . . توزع . . . تعطلت حواسه الاخرى وتركزت في رغبته الجامحة لضمها الى صدره . . . لم يلتفت حتى الى فستانها الصيفي الاسود ، ذلك الليل المتألق بين ذراعيها العاريين . . . كانت كفاه تشدان المقود بقوة وقدمه اليمنى تدفع السيارة بنزق مفرع . . . واعتبطت لوسي اذ ادركت ما يعنيه كل ذلك . زغردت باعماقها حمام المراءة ، فراحت تحذره بافاضة . تدفقت في حديثها جذلا ولذة . وذكرته بمقاطع كثيرة من رسائله المحببة لديها . . .

مرقت بهما السيارة من تحت جسر الجمهورية وابتلعهما شارع ابي نواس . توغلا فيه عميقا . . . فحسام يعرف انه كلما ابتعد عن قاب بغداد خف ارتطام الاصوات من حوله . . . ولما توقف قرب المنتزه الكبير سبقته لوسي

المساء ، الزمن يختلط بذهنه . ماضيه الكثيف ، ذلك النفق المحشو بالصور والاشباح يجتاز حاضره . يتفصد من جبينه . . . سيل الضباب يمرق تحت الانسان الذي سيكونه . . . يلف الكيس الذي سيتقمصه . . . !! وفطن الى غرابة افكاره « ان لوسي في بغداد . هذا ما يجب ان افكر به » وكانت افكاره مجنحة . تكاد تنفلت منه ، فاراد بتريديها ان يشدها اليه . رتمنى لو يعرف كيف يفكر بها . . . وسخط على نفسه بسبب ذلك . كان يخجله ان تخفق انامله وان يسمع الاخرون صوته حين يفكر بامر ما . . . لم يكن حسام ، في الحقيقة ، ليجهل كيف يفكر . لكن اللوحة عريضة وغنية بالصور ! تومض احداثها وتنطفئ بشكل خاطف . بينما يريد هو ان يبدأ مع لوسي من البداية ! منذ ان التقيا في الجامعة . . . يريد ان يستعيد حديثهما الاول يوم انبهرت من طريفته فسي الكتابة العربية ، فوضع القلم بين اصابعها الصغيرة واطبق عليها يسيرها من اليمين الى الشمال . لقد احس حينذاك بمفعول السحر يدب في شرايينه . . . ولم يفترقا بعد ذلك اللقاء . وكما يحدث لاي اثنين مثلها تعديا طوق الجامعة وصارا يلتقيان في شوارع المدينة الواسعة . ينحشران في اسواقها المكتظة . يطوفان بلا هدف . في المترو تحت الارض . في المراكب المكشوفة على نهر « موسكفا » . وكان يحس ، كلما تحدث اليها ، بأنه يتدفق كالشلال . ويتأذى بكل ما تحكيه له . ولم يفكر ان يختلي بها قبل ان يسافرا الى باكو . . . ففي تلك الاجواء الشرقية المشمسة حيث قضيا اسبوعا صيفيا صاخبا . على سواحل قزوين الدافئة حيث احس بالعراق ينض مع ابار البترول من اعماق البحر . . . هناك ، حين استلقيا على الساحل الرملي العريض احس بمعنى ان ينفرد بها وان لا يكون في الافق غيرهما . . .

قال ابو عمار وهو يصب فنجان القهوة - تفضل ، استاذ حسام - وكان صوته طعنة سكين مزقت الحلم واشعرت به شيء ما يتهدم في داخله . وانتابته حالة حمى خفيفة حاول ان يتخلص منها بالتمشي داخل غرفته . الا ان الحركة اعجزته عن التركيز وبعثرت افكاره . . . وظلت الفرحة حمامة ترف في صدره رغم الدوامة التي تلف رأسه ، ورغم ذكرى سهام التي وخطت افكاره . . . على اية حال ، ستفهم سهام هذه المسألة . . . انه واثق ومطمئن من ذلك . ربما تطاب منه بعض التفاصيل . . . سيحدثها طبعا ، بصراحة تامة . ولا يعني هذا ان يقدم حسابا عن ماضيه . كلا . ليس بهذه القسوة . قليل من التفاصيل فقط للاطمئنان . وفكر بارتياح انه فسي غير حاجة الى تبرير نفسه امامها . لقد احبته هكذا ، كما هو ، وبكل ما يرتبط به . ربما لان حبهما لم يدخل طور عذابات ومعاناة ولم تعطب قلوبهما امراض الغيرة والفراق . لقد وهبته امانا روحيا طالما افتقده . وكان حسام يتناولها كما يتناول العطر . يتنفسها مع الهواء

## منشورات « دار الاداب »

تطلب في القاهرة

من

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب

( سليمان باشا سابقا )

## سبرنفس پٽرو

سأدوس فوق خرافة الاوهام في العقل البليد  
وأصوغ أغنية الوجود الحر في صمت العدم  
فيذوب أمسي الزائف  
ويموت يومي الخائف  
لا شيء .. من لا شيء تنبثق الحياة .. غدا بدون ندم  
وبلا ألم

\*\*\*

يا من خنقت اللحن في وترتي  
وقذفت حقد كلابك الشوهاء في دربي  
يفتال حلم الضوء في قلبي  
يا من خنقت اللحن في وترتي  
وأكلت من لحمي لتحمي  
وشربت من دمعي لتروي  
وحشوت بالطين الدليل محاجري  
تتقياً الديدان فيه الموت ، تعبت بالجروح  
وغسلت بالحقد الجروح  
يا من خنقت اللحن في وترتي  
أنت الزمان  
أنت القدر

أنت القوي .. يجور .. يهزأ بالبشر  
وجعلتني سيزيف .. لا بدء هناك ولا انتهاء  
الصخر يسحق كاهلي ، والنور يضحك في السماء  
عبث يقيد خطوتي ، ويشدني نحو الحضيض

\*\*\*

لكن .. سأرقى من جديد  
وتموت مهزوما .. يمزقك انتصار اللحن في قلب العبيد  
ولسوف ترفع صخرتي  
وبذلك الثأر الطايق ولعنتي  
وهزيمة الاشباح في النور الوليد

\*\*\*

سيبرعم الورد الندي .. فيننشني صمت الحجر  
وتذوب أقنعة الجليد عن ابتسامات القمر !  
البدء .. أخلق من جديد  
أحياً بلا ماض .. وأحتضن البشر  
الحب في قلبي .. وراؤيا من اله !

حياة جاسم

بغداد

وهبطت رشيقة كالسنونو . وقادها امامه . احتضنت  
اصابع يده لحم ساعدها الطري . ودب الخدر الى شفاف  
قلبه يمسح عنه صداً السنين . كانت عيون بغداد مطفاة  
فلم يشأ ان يفلتها . اراد ان يعمق احساسه بوجودها .  
ان يلتصق بساعدها .

كان الليل يحتضن العرائش ويرعى همساتها  
الخافتة . وتهجست عيونهما زوايا المكان فاختارا ركنا  
منعزلا امام دجلة المرآة .. لفتهما ظلمة رمادية متخلخلة ،  
احس حسام انها تسرب الى نفسه وتبرعم شعورا غامضا  
بالترقب ... وبدت له اصابعه ، بعد ان خلع الخاتم  
الذهبي ، جرداء خريفية ، فارسلها تبحث عن عالم لوسي .  
تحسس شعرها ، جيدها ، خديها ... وكأنه لم يستوعب  
بعد حقيقة وجودها معه ، بحيث اذا تحولت عيناه عنها  
وعاد فوجدتها بجانبه تتجذر النشوة كالوخز في قلبه ،  
وكانه لم يتوقع ان يجدها ... كان صوتها ينثال عليه  
موسيقى .. قالت ، انها تنفذ وعدا قطعته على نفسها  
يوم كانا في باكو : « الا تذكر يا عزيزي ؟ قلت لك : سأاتي  
الى بغداد .. » وارتسمت على شفثيها بسمة الاعتزاز ..  
عالم لوسي يحتويه من جديد . ضحكتها النقية تمسح  
جروحه . ان لوسي الحلم تتجسد امامه حقيقة نابضة ،  
نغما عذبا ظل يفقده منذ ان عاد الى العراق .. كانت تطن  
برأسه خلية فكر مصطخبة تكاد تنفلت منه وتسررح على  
لسانه .. « ولكنك لم تكتب لي منذ اشهر ؟! » واخجله  
ان يكون قد نزع الطوق الذهبي عن اصبعه .. لم يفكر  
باخفاء خطوبته عنها . مستحيل . لقد فكر ان يؤجل  
الحديث لايام اخر حتى لا يصد هذا الشلال الدافق من  
نشوة اللقاء . مع ذلك ، فقد ظل هذا العمل يخزه بقسوة  
.. وانصب حديثهما في المجرى الذي يتوجس منه .  
ظل يهدف نحو الأفق المعتم !! هل جاءت من اجله ! لو يعلم  
فقط . وامتزج صوتهما بوشوشة الجرف وحفيف اوراق  
الشجر .. صارت تحدثه عن زيجات تمت بعده . فتذكر  
كم كانت تتخرج من الخوض في موضوع الزواج ... اما  
الآن : « حسام .. اراك ساهما . » وتوهج الاتون في  
اعماقه . واحس ان لهائها موسيقى صاخبة تنداف مع  
دمه وتتدفق فيضا من الاحلام السائلة والرؤى المختلطة  
المضيبة . « حسام .. بم تفكر !? » .. لم تعد لوسي  
عالما خياليا يعيشه مع نفسه . وشعر بكماشة حادة تنقض  
على قلبه . واذ لم تفقه لوسي ما يدور برأسه زرعت  
نظرات الحيرة والاستغراب على وجهه « حسام . الست  
مسرورا بلقائي !? » احس انه محاصر . يختنق . يهصره  
ثقل هائل . « كان يجب ان اخبرها . ان اكتب لها عن  
سهام . » وفكر ان ينهي معاناته فورا . ان يخرج الخاتم  
من جيبه ويضعه في اصبعه . هكذا ، وببساطة ، ينهي كل  
شيء . وحاول . لكنه اعاد النظر وفكر بطريقة اخرى

ليث الواسطي